خطبة بعنوان: عافية الدين

يوم الجمعة: ١٧/ ٠٢/ ١٤٤٠هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... من أسماء الله تعالى الحسنى العَفُوُّ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩]، ومن صفاته العفو، فهو سبحانه يُعافي من يشاء فضلًا، ويخذل ويبتلي من يشاء عدلًا لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلًا من عنده.

أيها المسلمون... جاء في أحاديث كثيرة الأمر بسؤال الله عز وجل العفو والعافية، روى الإمام أحمد وأهل السنن أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: ((اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني))، وعند أحمد والترمذي أن العباس رضي الله عنه قال: "يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله"، فقال ﷺ : ((سل الله العافية)). قال العباس فمكثت أيامًا ثم جئت فقلت: "يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله"، فقال:((سل الله العافية))، وروى الإمام أحمد أن أبا بكرٍ الصديق - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:((سلوا الله اليقين والعافية، فإنه لم يؤتَ العبد بعد اليقين خيرًا من المعافاة)).

أيها المسلمون... والعافية لفظٌ جامعٌ يشمل خيري الدنيا والآخرة، وهو يتناول دفع المكروهات عن النفس، والبدن، والظاهر، والباطن، والدين، والدنيا، والآخرة؛ ولهذا نفهم هذا المعنى الواسع للعافية إذا رأينا دعاءه ﷺ: ((اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني، ودنياي، وأهلي، ومالي))، وليس من الصواب حصر العافية في عافية البدن أو الولد، بل أعظم أنواع العافية والمعافاة أن يُعافى العبد في دينه. فإن الدين يؤتيه الله عز وجل من يحب أما الدنيا فيؤتيها الله عز وجل من يحب ومن لا يحب.

وإذا أراد المسلم أن يفهم معنى العافية في الدين فإذا كان على الإسلام فرأى الذين يعبدون الشمس، والقمر، والشجر، والحجر، والبشر، والبقر عرف معنى العافية.

وإذا أراد المسلم أن يفهم معنى العافية في الدين، فإذا رأى من يستغيثون بالأنبياء، ويدعون الأولياء، ويتوجهون إلى القبور، ويستنجدون بالمقبور، وكان على التوحيد عرف معنى العافية.

ويعرف المسلم معنى العافية في الدين إذا رأى من يجهدون في البدعة، وينصَبون في المحدثات، وهو على السنة عرف معنى المعافاة.

ويعرف المؤمن العافية في الدين إذا رأى الذين يتخوضون في مال الله تعالى بغير حقٍ فيسرقون، ويختلسون، ويرتشون، وقد رزقه الله القناعة، والكفاف، والرضا عرف معنى العافية.

ويعرف العبد معنى العافية في الدين إذا رأى صرعى الشهوات، وهلكى الذنوب والسيئات، وقد رزقه الله الاستقامة على أمره، ولزوم طاعته عرف معنى العافية.

ويعرف العبد معنى العافية في الدين إذا أدى عمله بالأمانة، والصدق، والإخلاص، ورأى أقوامًا خانوا أماناتهم، وأخلفوا في عهودهم، وخانوا ما ائتمنوا عليه.

أيها المسلمون... والمقصود من هذا كله أن المؤمن يعرف معنى المعافاة إذا رأى ما رزقه الله تعالى به، وما أفاء به عليه من نعمة الدين، ولزوم الحق، والاستمساك بالطريق المستقيم ثم رأى أقوامًا وفِئامًا من الناس تسلطت عليهم شياطينهم اللعينة، وأهواؤهم المضلة، ونفوسهم الأمارة بالسوء فاجتالتهم عن دينهم، ولا يحوزها العبد بقدرته، ولا بقوته، ولا بعقله بعيدًا عن هدى الله عز وجل﴿...وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢١]

العافية نعمةٌ عظمى، ومنةٌ جُلَّى لا يعرف قدرها إلا من رأى أهل البلاء في دينهم أو آخرتهم، وقد أشار النبي ﷺ إلى طرفٍ من هذا لما قال فيما أخرجه الترمذي: ((من أصبح منكم آمنًا في سِربه، مُعافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))، فإذا كان من أصبح آمنًا في سربه حاز عافية الجسد فحسب يعدل ذلك الدنيا بحذافيرها، فما ظنكم بمن حاز العافية في الدين؟

أيها المسلمون... العافية من أعظم المطالب، وأسنى المراتب؛ ولهذا جاء عن النبي ﷺ من أكثر من خمسين وجهًا الأمر بسؤال الله العافية، وكان من دعائه ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى: ((اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني، ودنياي، وأهلي، ومالي)).

أيها المسلمون... العافية أن تحمد الله تعالى على ما أولاك، وأن تشكره على ما أعطاك من نعمة العافية في الدين والآخرة، وأن تحذر من استنقاص أهل البلاء، والسخرية بأصحاب الابتلاء. جاء عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: ((إذا رأى أحدكم المبتلى فليقل: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثيرٍ ممن خلق تفضيلًا))، وجاء عند الترمذي أيضًا: ((لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك))، وأعظم من هذا أن الإنسان قد يغبط، أو يحسد، أو يتمنى مكانة أهل البلاء إذا رأى ما أُعطوا من الدنيا، لكنهم حُرِموا الآخرة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله منا ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

اعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.